[٩] كلمات مشرقة

حب الدنيا رأس كل خطيئة :

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الفوائد :

كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه ، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس ، ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات ، فإنه لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه .

فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق ، ولاسيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب ، وينطمس وجه الحق ،وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ، ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته ، وقال : لي مخرج بالتوبة ، وفي هؤلاء وأشباههم ، قال الله : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ**

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] ،فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم ، وقالوا : سيُغفر لنا ، وإن عرض لهم عَرَضٌ آخر أخذوه، فهم مُصرون على ذلك ، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون : هذا حكمه وشرعه ودينه ، وهم يعلمون أن دينه شرعه وحكمه خلاف ذلك ، أولاً يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه ، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون ، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه (١) .

القرآن الكريم نور الليل المظلم :

عن جندب البجلي رضي الله عنه قال :

اتقوا الله ، واقرؤوا القرآن ، فإنه نور الليل المظلم ، فإذا نزل البلاء فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم ، فإذا أنزل البلاء فاجعلوا أنفسكم دون دينكم ، واعلموا أن الخائب من خاب

---

(١) سمير المؤمنات (ص ٨) ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم .

دينه ، والهالك من هلك دينه .

ألا لا فقر بعد الجنة ، ولا غنى بعد النار ،لأن النار لا يفكُّ أسيرها ، ولا يبرأ حديرها ، ولا يطفأ حريقها ، وإنه ليحال بين الجنة وبين المسلم ، بملء كف دم أصابه من أخيه المسلم ، كلما ذهب ليدخل من باب من أبوابها وجودها تردُّ عنها .

واعلموا أن الآدمي إذا مات ودفن لأنتن أول شيء منه بطنه ، فلا تجعلوا مع النتن خبثًا ، واتقوا الله في أموالكم والدماء فاجتنبوها (١) .

ثمانية تطلبك كل يوم :

قيل للإمام الشافعي - رحمه الله - كيف أصبحت ؟ ، قال : أصبحت تطلبني ثمانية :

- الله تعالى بالفرض .
- ورسوله ﷺ بالسُّنَّة .
- والدهر بصروفه .

---

(١) سمير المؤمنات (ص ٩) ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم .

- والعيال بقُوتهم .
- والحفظة بما ينطق لساني .
- والشيطان بالمعاصي .
- والنفس بالشهوات .
- وملك الموت بقبض روحي (١) .

التزود من الدُّنيا :

ذمَّ رجل الدنيا عند عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنىً لمن تزوَّد منها ، مهبط وحي الله، ومُصلّى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا منها الرحمة ، واحتسبوا فيها الجنَّة ، فمن ذا يذمُّها وقد آذنت بينها ، ونادت بفراقها ، وشبّهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ترغيبًا وترهيبًا .

فيا أيها الذّام للدنيا المعلِّل نفسه متى خدعتك الدنيا ،

---

(١) سمير المؤمنات (ص ٩) .

أم متى استذمَّت إليك ؟ ، أبمصارع آبائك في البلى ! أم بمضاجع أمهاتك في الثَّرى ؟ ، كم مرَّضت بيديك ، وعلّلت بكفيَّك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداة لا يُغني عنه دواؤك ، ولا ينعلك بكاؤك ! (١) .

أربع كلمات واعظة :

خرج الزهريُّ يومًا من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلَّم بهنَّ رجلٌ عند هشام ؛ دخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين ، احفظْ عنِّي أربع كلمات ، فيهنَّ صلاح ملكك ، واستقامة رعيَّتك ، قال : هاتِهنَّ ، قال :

- لا تعدنَّ عِدةً لا تثق من نفسك بانجازها .
- ولا يغرَّنَّك المرتقى ، وإن كان سهلاً إذا كان المنحدَرُ وَعْرًا .
- واعلم أن للأعمال جزاءً ، فاتَّق العواقب .

---

(١) سمير المؤمنات (ص ٢١٥) ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم .

■ وأن للأمور بغتاتٍ ، فكن على حذر .

قال عيسى بن دأب :

فحدَّثتُ بهذا الحديث الهادي ، وفي يده لُقْمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها ، وقال : ويحك ، أعِدْ عليَّ ! .

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أسغ لقمتك ، فقال : حديثك أحبُّ إليَّ [١] .

ذَمُّ الدُّنيا :

كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتابًا طويلاً فيه :

أما بعد :

فإن الدنيا دار ظعن [٢] ليست بدار مقام ، وإنما أنزل إليها آدم عقوبةً ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركُها ، والغنى فيها فقرها ، تُذِلُّ من أعزَّها ، وتفقر من

---

(١) زهرة الأداب ، للقيرواني ، (٩٢٦/٤) .

(٢) الظَّعْن : الارتحال .

جَمَعها ، كالسمِّ يأكله من لا يعرفه وهو حَتْفُه ، فاحذر هذه الدار الغرَّارة الخيّالة (١) الخدَّاعة .

وكن أسرَّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها ؛ سرورها مشوب بالحُزْن ، ولم يضرب لها مثلاً ؛ لكانت قد أيقظت النائم ، ونبَّهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عزَّ وجلَّ عنها زاجرٌ ، وفيها واعظٌ ، فما لها عند الله سبحانه قَدْرٌ ولا وزن، ما نظر إليها منذ خلقها .

ولقد عُرِضت على نبيِّنا ﷺ مفاتيحها وخزائنها ، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة ، فأبى أن يقبلها ، وكره أن يحبَّ ما أبغض خالقه ، أويرفع ما وضع مليكه ، زواها (٢) الله عن الصالحين اختياراً ، وبسطها لأعدائه اغتراراً ، أفيظنُّ المغرورُ بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ؟! .

ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شدّ على بطنه

---

(١) الخيَّالة : الملبسة والمشبِّهة .

(٢) زوي الشيء عنه : صرفه ونحَّاه .

الحجر ، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مُكِرَ به ؛ إلا كان قد نقص عقله ، وعجز رأيه ، وما أمسك عن عبد فلم يظنَّ أنه قد خير له فيها ؛ إلا نقص عقله وعجز رأيه (١) .

الدنيا يوم القيامة :

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء (٢) ، زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوَّه خلقُها ، فتُشرِف على الخَلْق ، فيقال : هل تعرفون هذه ؟ .

فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه .

فيُقال : هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم . ثم تُقذَف في جهنم ، فتقول : يا ربِّ أين أتباعي وأشياعي ؟ .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، (ص١٩٩) .

(٢) الشَّمَط : بياض شعر الرأس يخالطه سواده .

فيقول سبحانه : ألحقُوا بها أتباعها وأشياعها (١) .

وقال آخر :

إن الدنيا إذا حَلتْ أوحلتْ ، وإذا جَلَتْ أوجلتْ ، وإذا كَستْ أوكستْ (٢) .

خَيْر الدنيا وخَيْر الآخرة :

قال الإمام الشافعي :

خير الدنيا وخير الآخرة في خمس خصال :

- غنى النَّفس .
- وكفُّ الأذى .
- وكسْبُ الحلال .
- ولباس التقوى .
- والثقة بالله عزَّ وجلَّ على كلِّ حال (٣) .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، (ص٢٠٠) .

(٢) الوكس : النقص والخسارة ، وأوكست : انقصت وأخسرت .

(٣) بستان العارفين ، للإمام النوويّ ، (ص٨٥) .

obeikandl.com

خطرُ حُبِّ الدنيا :

قال الإمام الشافعي :

من غلبت عليه شدة الشهوة لحبِّ الدنيا ، لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضي بالقنوع زال عن الخضوع (١) .

خطر العجب بالدنيا :

أخرج أبو نعيم في « الحلية » عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لبستُ مرَّة درْعًا جديداً ، فجعلتُ أنظر إليه ، وأعجبت به ، فقال أبو بكر رضي الله عنه :ما تنظرين ؟ أن الله ليس بناظرٍ إليك .

قلت : وممَّ ذلك ؟ .

قال : أما علمت أن العبد إذا دخله العُجْب بزينة الدنيا مقَتَهُ ربُّه ـ عزَّ وجلَّ ـ حتى يفارق تلك الزينة ؟ .

قالت : فنزعته فتصدَّقت به .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : عسى أن يُكفَّر عنك (٢) .

---

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلكان (٢ / ٣٨٧) .

(٢) حياة الصحابة ، (٢ / ٣٢٨-٣٢٩) .

رجلٌ لا يسألُ من يملكُها :

دخل هشام بن عبد الملك الكعبة ، فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : يا سالم ، سلني حاجة .

فقال : إني لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أسأل في بيت الله غير الله .

فلما خرج ، خرج في أثره ، فقال : قد خرجت فسلني .

فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة .

قال : من حوائج الدنيا .

فقال : ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها ؟! (١) .

ثمرة طلب العلم وأثره في رفعة صاحبه :

قال الخطيب :

وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلَّف أبا يوسف طفلاً صغيراً ، وأن أمَّه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي

---

(١) أحسن المحاسن ، لأبي إسحاق الرقِّي ، (ص١٦٦) .

حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ ، ثم روي الخطيب أيضًا بإسناد متصل إلى عليِّ بن الجَعْد ، قال :

أخبرني أبو يوسف القاضي قال :

تُوفِّي أبي وخلَّفني صغيرًا في حجر أمِّي ، فأسلمني إلى قصَّار أخدمه ، فكنت أدَع القصَّار ، وأمرُّ إلى حَلْقة أبي حنيفة ، فأجلس أستمع ، فكانت أُمِّي تجيء خلفي إلى الحَلْقة فتأخذ بيدي ، فتذهب بي إلى القصَّار ، وكان أبو حنيفة يُعنى بي ، لما يرى من حضوري وحِرْصي على التعلُّم ، فلما كثر ذلك على أُمِّي وطال عليها هربي ، قالت لأبي حنيفة :

ما لهذا الصبيِّ فساد غيرك ، هذا صبيٌّ يتيم لا شيء له ، وإنما أُطعمه من مغزلي ، وآمل أن يكسب دانقًا يعود به على نفسه .

فقال لها أبو حنيفة : مُرِّي يا رعْناء ، ها هو ذا يتعلَّم أكل الفالوذج ويُدَّهَن بالفستق .

فانصرفت عنه ، وقالت له : أنت شيخ قد خرفت

وذهبت عقلك .

ثم لزمتُه فنفعني الله بتعلم العلم ، ورفعني حتى تقلَّدتُ القضاء ، وكنتُ أُجالس الرشيد وآكل معه على مائدته .

فلمَّا كان في بعض الأيام قُدِّم إلى هارون فالوذجةٌ ، فقال لي : يا يعقوب ، كل منها ، فليس في كل يوم يعمل لك مثلها .

فقلت : وما هذه يا أمير المؤمنين ؟ .

فقال : هذه فالوذجةٌ يُدهَن بالفستق .

فضحكتُ .

فقال لي : ممَّ ضحكُك ؟! .

فقلتُ : خيراً ، أبقى الله أمير المؤمنين .

قال : لتُخبرنِّي .

وألحَّ عليَّ فأخبرته بالقصَّة من أوَّلها إلى أخرها ، فعجب من ذلك وقال : لعمري إن العلم لينفع دنيا وديناً ، وترحم على أبي حنيفة وقال :

كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه [١] .

قضاء حوائج العباد :

أخرج الطبراني والبيهقي واللفظ له ، والحاكم مختصراً ، وقال صحيح الإسناد :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفًا في مسجد رسول الله ﷺ ، فأتاه رجلٌ فَسَلَّم عليه ، ثم جلس ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما :

يا فلان ! أراك مكتئبًا حزينًا ؟ .

قال : نعم ، يا ابن عمَّ رسول الله ، لفلانٍ عليَّ حقُ ولاءٍ، ما أقدرُ عليه .

قال ابن عبَّاس : أفلا أكلِّمه فيك ؟ .

فقال : إن أحببتَ .

قال : فانتعل ابنُ عبَّاس ، ثمَّ خرج من المسجد ، فقال له الرجلُ : أنسيت ما كنتَ فيه ؟ .

---

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلّكان (٦ / ٣٨٠) .

قال : لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب ، فدمعتْ عيناه ، وهو يقول :

« من مشي في حاجة أخيه ، وبلغ فيها ؛ كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى ؛ جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » (١) .

المشي في حاجة المسلم :

كان شبيب بن شيبة يصلِّي في المسجد الشارع في مربعة أبي عبيد الله ، فصلَّى يومًا الصبح ، فقرأ بالسجدة و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ ﴾ .

فلمَّا قضى الصلاة قام رجل فقال :

لا جزاك الله عنِّي خيراً ، فإني كنت غدوتُ لحاجة فلمَّا أقيمت الصلاة دخلت ، أُصلِّي فأطلت حتى فاتتني حاجتي .

قال : وما حاجتك ؟ .

---

(١) حياة الصحابة ، للكاندهلويَ (٢ / ٤٧٧-٤٧٨) .

قال : قدمت من الثَّغر في شيء من مصلحته ، وكنت وُعِدتُ البكور إلى الخليفة لأنجز ذلك .

قال : فأنا أركب معك .

وركبت معه ودخل على المهدي ، فأخبره الخبر ، وقصَّ عليه القصَّة .

قال : فتُريد ماذا ؟ .

قال : قضاء حاجته .

فقضى حاجته ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فدفعها إلى الرجل ، ودفع له شبيب من ماله أربعة آلاف درهم وقال له : لم تضرَّك يا أخي السورتان [١] .

ما مِنْ مخلوق إلا على الله رزقه :

يُحكى أن ابن بابشاذ النحويَّ كان يومًا في سطح جامع مصر ، وهو يأكل شيئًا وعنده ناس ، فحضرهم قِطٌّ فرمَوا له لقمةً ، فأخذها في فيه ، وغاب عنهم ، ثم عاد إليهم ، فرموا

---

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلكان (٢ / ٤٥٩) .

له شيئًا آخر ، ففعل كذلك ، وتردَّد مُرارًا كثيرةً ، وهم يرمون له ، وهو يأخذه ويغيب به ، ثم يعود من فَوْره ، حتى عجبوا منه ، وعلموا أنَّ مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته ، فلما استرابوا حاله تبعوه ، فوجدوه يَرْقى إلى حائط في سطح الجامع ، ثم ينزل إلى موضعٍ خالٍ صورة بيت خراب ، وفيه قطٌّ آخر أعمى ، وكلُّ ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القطِّ ، ويضعه بين يديه وهو يأكله ، فعجبوا من تلك الحال ، فقال ابن بابشاذ :

إذا كان هذا حيوانًا أخرس قد سخَّر الله سبحانه وتعالى له هذا القطَّ ، وهو يقوم بكفايته ، ولم يحرمه الرزق ، فكيف يضيِّع مثلي (١) .

عزة العالم وجُرأته في الحقِّ وإعراضه عن الدنيا :

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ :

روينا بأسانيد متعدِّدة عن مقاتل بن صالح الخُراساني ،

---

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلكان (٢ / ٥١٦) .

قال : دخلت على حمَّاد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ فإذا ليس في البيت إلا حصيرٌ ، وهو جالسٌ عليه ، ومصحف يقرأ فيه ، وجُراب فيه علمه ، ومطهرة يتوضَّأ فيها فبينا أنا عنده جالس إذْ دقَّ داقٌّ الباب ، فقال يا صبيَّة ، أخي ، فانظُري ! ، مَنْ هذا ؟ .

قالت : هذا رسول محمد بن سليمان .

قال : قولي له : يدخل وحده .

فدخل ، فسلَّم وناوله كتابًا .

فقال : اقرأه .

فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن سليمان إلى حمَّاد بن سلمة .

أما بعد :

فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته ، وقعتْ مسألةٌ ، فإنَّا نسألك عنها .

فقال : يا صبيَّة ، هلمِّي بالدواة ، ثم قال : اكتبْ في ظهر الكتاب :

أما بعد :

وأنت صبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته ، أدركْنا العلماءَ ، وهم لا يأتون أحداً ، فإن وقعت مسألة ؛ فائتنا ، فتسألنا عمَّا بدا لك ، وإن أتيتني ؛ فلا تأتني إلا وحدك ، ولا تأتني بخيْلك ورجلك فلا أنصحكَ ، ولا أنصح نفسي ، والسلام .

فبينا أنا عنده جالس ، إذْ دقَّ داقٌّ الباب ، فقال :

يا صبيَّة ، اخرُجي ، فانظُري من هذا ؟ .

فقالت : محمد بن سليمان .

قال : قول له يدخل وحده .

قال : فدخل ، فسلَّم ، ثمَّ جلس بين يديه فقال :

ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رُعْبًا ؟ .

فقال حمَّاد : سمعت ثابتًا ـ يعني البُنانيَّ ـ يقول :

سمعت أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يقول :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العالم إذا أراد بعلمه

وجه الله تعالى ؛ هابه كلُّ شيء ، وإذا أرادأن يكثِّر به الكنوز ؛ هاب من كلِّ شيء »(١) .

فقال : ما تقول ـ يرحمك الله تعالى ـ في رجل له ابنان هو عن أحدهما أرضى ، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟ .

فقال : لا ؟ ، ويرحمك الله ، فإني سمعت ثابتًا البُناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عز وجل إذا أراد أن يعذِّب عبدًا بماله ، وفَقه عند موته لوصيةٍ جائرةٍ** » .

قال : فحاجةٌ ؟ .

قال : هاتِ ! ما لم تكن رزيَّةً في دين .

قال : أربعين ألف درهمٍ فتأخذها ، فتستعين بها على ما أنت عليه .

قال : اردها على من ظلمته بها .

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، ولفظ بعضه : « وإذا أراد أن يكنز به الكنوز ... » .

قال : والله ما أعطيتك إلا ما ورثته .

قال : لا حاجة لي فيها ، ازوِها عنِّي ، زوى الله عنك أوزارك .

قال : فغيرَ هذا ؟ .

قال : هات ، ما لم يكن رزيَّةً في دين الله .

قال : تأخذها فتقسمها .

قال : فعلِّي إن عدلتُ في قِسمها أن يقول بعض من لم يرزق منها : إنه لم يعدل في قِسْمتها ، فيأثم ! ازوها عنِّي زوى الله عنك أوزارك (١) .

اترك الدنيا :

قال وهب بن منبه :

يحكى أن رجلاً من العبّاد قال لمعلمه : قد قطعت الهوى فلست أهوى من الدنيا شيئًا .

---

(١) أخرجه ابن عساكر وابن النجار ، ولفظه : « **إذا أراد الله أن يعذِّب غنيًّا على غناه وفقه عند موته بوصيّة جائرة فلا يقوم بأمره** » .

فقال له معلمه : أتفرق بين النساء والدواب إذا رأيتهن معًا ؟ ، قال : نعم ! .

قال : أفتفرق بين الدنانير والحصى إذا رأيتهن معًا ؟ ، قال : نعم ! .

قال : يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك ولكنك قد أوتقته (١) .

الفرح بالدنيا :

قال الأصمعي : وجدت بيتين لبعض العرب ، كأنما أخذا من قوله تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** ﴾ [الأنعام :٤٤] ، وهما قول سعيد بن وهب :

أحسنتَ ظنَّكَ بالأيامِ إذ حسنَتْ

ولم تخفْ غبَّ ما يأتي به القدرُ

---

(١) سمير المؤمنات ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم .

وسالمتك الليالـي فاغـتررتَ بهـــا

وعند صفوِ الليالي يحدثُ الكدرُ !

ازهد في الدنيا :

قال أحد الصالحين :

إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله .

وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله .

وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله .

وإذا تعرَّفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقرَّبوا إليهم لينالوا بهم العزَّة والرفعة فتعرَّف أنت إلى الله وتودَّد إليه تنل بذلك غاية العزِّ والرفعة .

قال بعض الزّهاد : ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان ، فقال له رجل : إني أكثر البكاء ، فقال : إنك إن تضحك وأنت مُقرّ بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مُدلّ بعملك ، وإن المدلّ لا يصعد عمله فوق رأسه .

obeikandl.com

فقال : أوصني ، فقال : دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها ، وكُنّ في الدنيا كالنخلة ، إن أكلت أكلت طيبًا ، وإن أطعمت أطعمت طيبًا ، وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه (١) .

الدنيا لا تدوم :

لما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه القادسية أميرًا عليها من عند عمر بن الخطاب ، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر في خدمها ووصفائها ، فلما وقفن بين يديه قال : أيكنَّ حرقة بنت النعمان ؟ .

قالت : ها أنا ذي ، فما أردت بتكرارك الاستفهام ؟! ، إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال ، تنتقل بهم انتقال الظلال ، وتعقبهم حالاً بعد حال ، إنّا كنّا ملوك هذا المصر قبلك ، يُجيب إلينا خراجه ، ويطيعنا أهله مُدَّة من الدهر ، فلما أدبر عن الأمر صاح بنا صائح الأيام ، فصدّع

---

(١) سمير المؤمنات ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم .

شملنا وشتّت ملأنا ، وكذلك الدَّهر يا سعد، فلا تغتر بحال الدنيا ، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك ، ثم سألته حوائجها فقضاها ، فدعت له وقالت : لا أزال الله عنك نعمة أتمَّها عليك ! (١) .

اعمل لآخرتك :

قال عون بن عبد الله :

كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث ، ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض :

- مَنْ عمل لآخرته كفاه الله دنياه .
- ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيته .
- ومَنْ أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس (٢) .

---

(١) سمير المؤمنات ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم ٢٣٦ .

(٢) سمير المؤمنات ، سلوى محمد الكندري ، دار ابن حزم ١٩٨ .

obeikandl.com

الدنيا المنغصة

المرءُ آفتـه هوى الدُّنيـا ... والمرء يطغى كُلَّما استغنى

إنّي رأيت عـواقِ الدنيـا ... فتركت ما أهوى لما أخشى

فكّرتُ في الدنيا وجدتها ... فإذا جميع جديدها يبلى

وإذا جـميع أمـورها دُوَلٌ ... بين البَرّية في شأنِه يسعى

ولقد بلوْتُ فلم أجدْ سببًا ... بأعـزّ مِنْ قَنَعٍ ولا أعلى

ولقد طلبتُ فلم أجد كَرمًا ... أعلى بصاحِبِهِ من التَّقوى

ولقد مررْتُ على القُبور فما ... مَيّزْتُ بين العبد والمولى

ما زالَتِ الدُّنيا مُنَغِّصَةً ... لم يَخْلُ صاحبُها من البَلْوى

دارُ الفجائعِ والهُمُومِ ودارُ ... البؤس والأحزانِ والشكوى[1]

---

(١) من ديوان أبي العتاهية .

ثلاث أقسم عليهن :

عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

« ثلاث أُقسم عليهن ، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًّا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » .

وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ، قال : « إنما الدنيا لأربعة نفر :

■ عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقًا ، فهذا بأفضل المنازل .

■ وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء .

■ وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا ، يتخبط في ماله

بغير علم ، ولا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقًا ، فهذا بأخبث المنازل .

■ وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فوزرهما سواء» (١) . (٢) .

تقلبات الدنيا :

قال ابن خلّكان : من أعجب ما يؤرخ من تقلّبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان عن ابن عبد الرحمن الهاشمي قال :

دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة في ثياب رثة ، فقالت لي والدتي : أتعرف هذه ؟ ، قلت : لا ، قالت : هذه أم جعفر البرمكي .

فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زمانًا،ثم قلت :

---

(١) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(١) سمير المؤمنات (٢٠٦) .

يا أمي ما أعجب ما رأيت ؟ ، قالت : لقد أتى عليَّ يا بني عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة ، وإني لأعدّ ابني عاقًا لي ، ولقد أتى عليّ هذا العيد وما مناي إلا جلد شاتين أفترش أحدهما ، وألتحف بالآخر .

قال : فدفعت لها خمسمائة درهم ، فكادت تموت فرحًا بها ، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرَّق الموت بيننا [١] .

---

(١) سمير المؤمنات ، سلوى الكندري ، دار ابن حزم (١٧٧) .

الخاتمة :

قال الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النحل : ٣٠] .

أي من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الآخرة والدنيا .

ثم أخبر بأن دار الآخرة خير ، أي من الحياة الدنيا ، والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا » (١) .

يا أخي :

« إياك والدنيا ، فإن جهل الدنيا مبتوت ، واقنع منها بالقليل ، وأعلم بأنك تموت » (٢) .

نحن بحاجة لعلو الهمة ، وأن نرتفع لمستوي إسلامنا ، وديننا ، ولا ننخدع بزخرف فان ، وعارية مسترجعة ، ودنيا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٩٠) .

(٢) بحر الدموع (٧٣) .

لا بقاء لها ، ولا وفاء ، وننصبغ بصبغة الإسلام ، ونحيا حياة الإيمان ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

[الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] .

فهيا بنا نتعرف علي أحكام الشريعة حتي نكون على بصيرة من أمرنا ، وأمر الناس ، وهيا بنا لنخلط الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسألة ، ونتابع العلم النافع بعمل صالح ، ونقدم الأهم علي المهم في : العلم ، والعمل ، والدعوة إلى الله ، ونخاطب الناس علي قدر عقولهم ، ونُصلح دنياً الناس بدين الله ، حتي ننتقل نحن وهم من هذه الدار بسلام إلي دار السلام (١) .

وبعد :

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . هذا آخر ما تيسر لنا جمعه وكتابته في :

---

(١) نقلاً من كتاب : هيا بنا نؤمن ساعة ، للشيخ سعيد عبد العظيم .

[وصف الدنيا في الكتاب والسنّة] .

ولعلك أخي في الله قد رأيت أننا لم نتعرض في هذا الكتاب للكلام عن الزهد في الدنيا ، وهذا لأنه سيُفرد للزهد كتاباً آخر بعنوان : « حقيقة الزهد » . نتحدث فيه عن تعريف الزهد وبيان حقيقته ، وفضله وما إلي ذلك ... والله تعالي أسأل القبول والنفع ، إنه سميع مجيب الدعاء . وصلى الله وسلم علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو الحارث السويفي السلفي

خالد بن رمضان حسن جاب الله

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

obeikandl.com

المراجـــع

[١] القرآن الكريم .

[٢] صحيح مسلم ، شرح الإمام النووي .

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

[٤] السلسلة الصحيحة للشيخ / ناصر الدين الألباني رحمه الله .

[٥] الزهد، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، للإمام أحمد بن حنبل .

[٦] لسان العرب ، لابن منظور .

[٧] الكشاف ، للزمخشري .

[٨] البحر المحيط ، لأبي حيان .

[٩] الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي .

[١٠] في ظلال القرآن ، سيد قطب رحمه الله

obeikandl.com

[١١] فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للعلامة المناوي .

[١٢] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد الأصبهاني .

[١٣] المواعظ والمجالس « محقق » لابن الجوزي .

[١٤] جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر .

[١٥] مهلاً يا جامع الدنيا ، محمد بن أحمد سيد أحمد .

[١٦] جامع العلوم والحكم ، للحافظ ابن رجب الحنبلي .

[١٧] بحر الدموع « محقق » لابن الجوزي .

obeikandl.com